الفصل الرابع
وسائل التنصير

اتخذ علماء التبشير ومؤسساته كثيرة ومتنوعة في إطار الإستراتيجية التبشيرية وهذه الوسائل المتعددة تصلح لكي تخدم أهداف التبشير في توصيل ما هو مطلوب من معلومات إلى المسلمين وتعمل هذه الوسائل عمل السوس في المجتمع الإسلامي ومن أشهر هذه الوسائل والمؤسسات:

١- المدرسة. ٢- الصحافـــة.

٣- الثقافة. ٤- العلاج الطبي.

(ولا ريب أن هذا المخطط هو أقسى ما واجه الفكر الإسلامي في صوره المختلفة لأنه جاء في غيبة إرادته الحرة وفي ظل إرادة الإستعمار المسيطرة والتي عملت منذ أن بدأت سيطرتها على العالم الإسلامي على غزو العقل الإسلامي والنفس الإسلامية من ثلاثة قوى كبرى المدرسة، الثقافة، والصحافة ذلك عن طريق السيطرة على هذه المؤسسات وإدارتها بواسطة رجال مستشرقين ومعلمي إرساليات ومبشرين ودعاة تغريب[١].

وهي نماذج لوسائل التدمير التي سخرها التبشير والغزو الفكري وسوف أناقش كل مؤسسة من المؤسسات بالتفصيل.

---

(١) أنور الجندي، شبهات في غزو الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص٣.

أولاً: المدرسة:

إن القائمين على أمر التبشير كانوا في الأساس ألمان وإيطاليين ونمساويين وكان الأهالي عازفين عن تعليم اللغة العربية وفي عام ١٩١٠م عقد مؤتمر لرؤساء البعثات التبشيرية في الجنوب ناقشوا فيه هذه المشكلة وصرحوا بخشيتهم أن يؤدي تعلم اللغة العربية إلى انتشار الإسلام وانتهى رأيهم إلى الاقتراح على الإدارة البريطانية بأن يكون التعامل الرسمي للإدارة باللغة الإنجليزية(١).

الكلام المتقدم عن القطر السوداني:

وقد كان لهذه السياسة أثرها في تصعيد مشكلة جنوب السودان التي لا تزال إلى يومنا هذا عقبة كبرى في سبيل توحيد القطر السوداني. وهي مشكلة خلقتها الإرساليات التبشيرية عن طريق التعليم.

يقول الدكتور/ جسن مكي محمد أحمد (كاتب سوداني) في مستهل هذا القرن ثبتت الإدارة البريطانية أقدامها في السودان وقد جاءت لبلادنا بحصيلة وافرة من التجارب في إذلال الشعوب وقهرها، وأدركت فوارق العنصر والدين بين شمال القطر وجنوبه وفي تعاون تام مع العالم المسيحي أخذ القسس يفدون لجنوب السودان للإشراف على عمليات التنصير ونشر الوعي المسيحي بين المواطنين وشرعوا في فتح أعداد هائلة من مدارس القرى والأحراش(٢).

وغالباً ما يتقرب المبشرون إلى الأهالي بمثل هذه الخدمات الإنسانية خاصة دور العلم. إن إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي تزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم ودور الضيافة لجمعيات الشباب المسيحية وأشباهها)(٣).

---

(١) حسن مكي، السياسة التعليمية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٢.

(٣) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٢٦.

واستمر التبشير المسيحي في سواحل أفريقيا منذ القرن الثالث عشر حيث عهدت للقوى الإستعمارية للكنائس بالسيطرة على مؤسسات التعليم وذلك بخلق عناصر من السكان تدين بالولاء الذهني والفكري الأوروبي الغربي مع خلعهم فكرياً عن مقومات ثقافتهم الوطنية الأصلية وكانت وسائل التبشير في ذلك متعددة تتمثل في: تقديم الخدمات الطبية والتعليمية والترفيهية ثم التأثير الديني بمختلف وسائل الترغيب والترهيب.

وما المدرسة إلا رمزاً للتربية والتعليم من مراحلة الأولية إلى مراحله العليا.

تقول المبشرة آن ميلغان لقد استطعت أن أجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجمع فيه مثل هذا العدد من بنات المسلمين تحت النفوذ المسيحي وبالتالي ليس هناك طريق أقرب إلى تفويض حصن الإسلام من هذه المدرسة(١).

ركز المبشرون جهودهم على التعليم منذ زمن مبكر وقد اهتم المبشرون بإنشاء مدارسهم في البلاد الإسلامية في وقت مبكر جداً، فأنشأوا لهذا الغرض مئات المدارس في البلاد العربية وبخاصة سوريا ولبنان ومصر كما أنشأوا ألوفاً من مدارسهم في البلاد الإسلامية الأخرى في أفريقيا وآسيا.. فإنهم كانوا يرون أن التعليم العالي لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم لأنه يساعدهم على الوصول إلى الطبقات المثقفة لنشر آرائهم ومفاهيمهم بين هذه الطبقات حتى تنتشر بواسطتهم إلى جميع أفراد المجتمع الإسلامي(٢).

وفي مجال الجامعات أنشأ المبشرون البروتستانت كلية في بيروت وذلك عام ١٨٦٢م أصبحت اليوم الجامعة الأمريكية في بيروت ونافسوا الأزهر حيث أنشأوا كلية في القاهرة هي الآن الجامعة الأمريكية.

---

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام، مرجع سابق، ص٨٣.

(٢) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص١٧٩.

وفي لاهور أنشأ الفرنسيون كلية هناك، وكذلك أنشئت كلية روبرت في استانبول.

مما تقدم يتضح لنا كيف اهتم المبشرون بالمؤسسة التربوية ولا شك أن هذه المؤسسة قد وضعت لها المناهج التي تخدم أهداف التبشير وخلق أجيال تدين بالولاء للحضارة الغربية لا للأصالة الإسلامية وتزهد في أساليب الحياة الشرقية.

ثانياً: الصحافة:

وأهمية هذا الجانب وهذه الوسيلة في خلق الرأي العام وتغيير اتجاه الناس والتحكم فيهم بما يسمى الضبط الاجتماعي. وقد كان العالم إلى وقت قريب عندما يريد الكلام عن الإعلام يقصد الصحافة أي أن كلمة صحافة هنا تعني وسائل الإعلام أو الإعلام يوم ذاك. لأهمية هذه المؤسسة ركز التبشير والمبشرون جهودهم عليها.

(لقد كان العالم الإسلامي ميداناً لغزو صحافي صليبي ماسوني مدمر حيث دخلت المطبعة مصر مع الحملة الفرنسية واستقطبت بعد حين عدد من النصارى في بلاد الشام لصدور مجموعة من الصحف في مصر صارت بعد حين أم الصحافة الأولى ومدرستها الكبرى التي تتلمذ عليها أصحاب الصحف ومحرريها فيما بعد في شتى أقطار الأمة العربية بكل ما لهذه المدرسة من سلبيات بغيضة وعيوب فاضحة وأهداف مضللة وانحرافات مدمرة[1].

وفي العالم العربي عملت الصحافة في التمهيد للهزيمة أمام العدو الإسرائيلي عام ١٩٦٧م والكلام هنا عن الصحافة بعامة في كل الوطن العربي لا صحافة قطر بعينه في مرحلة جد خطيرة هي مرحلة الهزيمة والنكسة والنكبة التي بدأت عام ١٩٤٨م تقريباً بقيام جسر الصهيونية في فلسطين وامتدت إلى ما يطلق عليه النكسة عام ١٩٦٧م.

---

(١) يوسف العظم، رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جده، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص١١.

وهو العام الذي سيطرت فيه قوى العدو الإسرائيلي على القدس.. وإذا كان قوى خطيرة عملت على توهين القوى العربية بحيث خضعت للهزيمة والنكسة والنكبة (ومنها الاستشراق والتبشير والتغريب والغزو الثقافي) فقد كانت الصحافة عاملاً هاماً في احتضان كل ما قدمته القوى وبثه وإذاعته يوماً بعد يوم ومن خلال كل القنوات قد كانت الصحافة ولا تزال أخطر وسائل التوجيه والتثقيف[١].

بل بلغت بهم الجرأة أن يقيموا إذاعات منظمة تبث برامجها من أجل غسل الدماغ الإسلامي وتحويله إلى تابع الحضارة الغربية.

ولقد سارت سياسة الإستعمار والتبشير والاستشراق معاً على مخطط واحد يتمثل فيما يلي: (إصدار الصحف وتنظيم إذاعات باللغات الأجنبية دون العربية)[٢].

وقد كان النصارى في كل مكان سباقين إلى العمل في هذا الحقل ويتضح لنا هذا الأمر عند استعراض نشأة الصحافة العربية.

يقول أديب مروة في كتابة الصحافة العربية نشأتها وتطورها (لم يكن عام ١٨٧٠م قد أطل حتى كانت قد صدرت في العالم العربي عدة مجلات ونشرات دورية منها مجلة مجموعة بيروت) صحيفة (نتائج الأخبار) التي صدرت في تونس سنة ١٨٦٣م. ومجلة الجمعية السورية سنة ١٨٢٥م في بيروت ومجلة (انتشار الإنجيل) ١٨٦٣م في بيروت ومجلة (مجموع العلوم) للجمعية العلمية السورية ١٨٦٨م ومجلة (أعمال شركة ما منصوردي بول) سنة ١٨٦٨م للجمعية المعروفة بهذا الاسم.

والجدير بالذكر أن معظم مجلات بيروت التي صدرت في ذلك العهد كانت ذات طابع ديني ولكنها لم تعمر طويلاً باستثناء ثلاث أو أربع)[٣].

---

(١) أنور الجندي، الصحافة والأقلام المسمومة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٧.

(٢) المد الإسلامي في أفريقية، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٣) أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، ص١٥٦.

(وفي الجزائر ظهرت ثالثة الصحف العربية: أما ثالثة الصحف العربية في الجزائر وهي جريدة (المبشر) الجزائرية فقد أصدرها المستعمرون الفرنسيون في مدينة الجزائر عام ١٨٤٧م بأمر من الملك فيليب)[١].

نكتفي بهذه النماذج ونستطيع أن نقول أن هذه الخطة نهج ثابت كان ولا يزال في ديار الإسلام شرقها وغربها وقد استطاعت الصحافة أن تعمل لما فيه هدم كثير من عقائد المسلمين لما تتميز به من مميزات تختلف عن مميزات وسائل الإعلام الأخرى.

ثالثاً: الثقافة:

يقول الدكتور/ مصطفى السباعي في كتابه الاستشراق والمستشرقون حيث يربط بين عمل هؤلاء وعمل المبشرين ويثبت أن رجال الاستشراق حركة بدأت بدراسة القرآن الكريم واللغة العربية ولكن هؤلاء لم ينسوا أنهم مبشرون يقول: (وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث)[٢].

وحاولوا فرض الثقافة الغربية والسلوك الغربي على المجتمع المسلم.

يقول أبو الأعلى المودودي فقد فرضوا علينا الثقافة الغربية بل واستولوا على مفاتيح الرزق وعلقوها على أبواب معاهدهم مما كان معناه لن ينال الرزق في البلاد إلا من يتلقى هذا التعليم فأقبلت ناشئتانا إقبالاً هائلاً حتى كانت كل سلالة جديدة أسرع إليها من سابقتها، وتعلمت فيها جميع النظريات والمظاهر العلمية التي كانت بروحها وشكلها متناقضة لثقافتنا. لا شك إنهم ما استطاعوا أن يردوا منا أحداً على عقبه كافراً يجهر بارتداده عن الإسلام، ولكن لا أخال إنهم تركوا حتى اثنين من مائة رجل منا على إسلامهما الخالص من حيث الفكر

(١) الصحافة العربية، مرجع سابق، ص١٣٤.
(٢) الاستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص١٦.

والنظر والوجدان والذوق والسيرة والخلال والأعمال، فهذا هو الضرر الفادح الذي ألحقوه بنا فقد شقوا جذور ثقافتنا في قلوبنا وأذهاننا وغرسوا فيها وأصلوا جذور الثقافات الأجنبية)[١].

ويقول أبو الأعلى المودودي في كتاب آخر (جامعاتكم كما أثبت آنفاً هي في حالتها الراهنة خادمة للثقافة الغربية فإن اكتفيتم من تغيير هذه الحالة بأن تبدلوا برنامج الإلهيات وتجلعوه أقوى مما كان إلى الآن مع بقاء الطريقة الغربية للتعليم والتربية فإنه لا يمكن أن يعود هذا المعهد خادمة للثقافة الإسلامية. جاء هذا الخطاب تحت عنوان الخطة التعليمية الجديدة لمسمى الهند ومنهاج العمل بها)[٢].

وكذلك كان الحال في سواحل أفريقيا فقد خطط المبشرون لتحويل هؤلاء المواطنين للفكر الأوروبي.

واستمر التبشير المسيحي في سواحل أفريقيا منذ القرن السادس عشر يمهد للقوى الإستعمارية للسيطرة على البلاد وذلك بخلق عناصر من السكان تدين بالولاء الذهني للفكر الأوروبي الغربي مع خلعهم فكرياً عن مقومات ثقافتهم الوطنية الأصلية)[٣].

بهدف محو أثر الثقافة العربية في جنوب السودان سن (قانون المناطق المقفولة) والمقصود منه عدم السماح لسكان السودان في الشمال وهم مسلمون أن يدخلوا الجنوب.

يقول الدكتور/ مدثر عبد الرحيم الطيب في كتابه مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها. يقول في عنوان جانبي (قانون المناطق المقفولة ومحاربة الإسلام واللغة العربية) يقول: (ثم أجيز قانون الجوازات وكان من أكثر الوسائل التي

---

(١) أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، دار الفكر، ص٢٨٧ وما بعدها.

(٣) المد الإسلامي في أفريقية، مرجع سابق، ص١٠٢.

اتخذتها الإدارة البريطانية فعالية في إبعاد العرب المسلمين الأفريقيين عن المديريات الجنوبية وفي تمكين الإدارة والمبشرين من صبغ تلك المديريات بألوان مختلفة من الديانات والثقافات غير الإسلامية والعربية)[١].

ويواصل الحديث عن جنوب السودان والتخطيط لعزله عن الثقافة الإسلامية والعربية القادمة من الشمال يقول: (بناء على توجيهات السكرتير الإداري في مقاومة الحضارة الإسلامية العربية في المديريات الجنوبية كتب مدير بحر الغزال إلى مفت راجا من مراكز المديرية التي انتشرت فيها اللغة العربية قائلاً: (أرجو أن تذكر دائماً أنه ينبغي عمل كل شيء وأن كان صغيراً تافهاً يكون من شأنه المساعدة لو بقدر ضئيل على محو اللغة العربية وتشجيع اللهجات المحلية والوعي القبلي واللغة الإنجليزية بدلاً عنها فلابد من إيقاف الكلمات العربية مثل (شيخ - سلطان) واتخاذ العبارات المقابلة لها في اللهجات المحلية كلفظة (بنج) مثلاً في مناطق الدينكا كما ينبغي حث زعماء العشائر وعامة الناس على الحفاظ على أسمائهم القبلية منها فيجب أن يشجعوا على استعمالها)[٢].

وفي مجال الأسرة والمرأة كان للتبشير اهتمام خاص (ولقد اهتم المبشرون اهتماماً كبيراً بما سموه بتحرير المرأة ولهم في ذلك نشاط واسع يرمي إلى تخريج جيل من الفتيات المسلمات اللاتي لا يعرفن عن دينهن وتاريخهن شيئاً، ويتعلقن تعلقاً كاملاً بالحياة الغربية التي تتيح لهن أن، ينطلقن باسم التحرير والمساواة في تيار الفساد والانحلال، ذلك أن المرأة في أوربا قد تحررت فعلاً.. ولكن من الدين والخلق والكرامة)[٣].

بل استطاعت جهود التبشير أن تجعل اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في بعض الأماكن مع أن اللغة العربية قد سبقتها إلى هذه الأماكن قبل زمن طويل

---

(١) دكتور مدثر عبد الرحيم، مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها وأثر السياسة البريطانية في تكوينها، الدر السودانية، الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م، ص٤١-٤٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٧.

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٨٢.

ونضرب مثلاً لذلك جنوب السودان وكان الهدف عزل أهل الجنوب عن أهل الشمال الذين يتكلمون اللغة العربية ويدينون بدين الإسلام (وهكذا غدت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية وقام التمييز اللغوي بين الشمال والجنوب نتيجة لاحتكار الإرساليات المسيحية الأوروبية شئون التعليم في الجنوب - أي جنوب السودان)[١].

رابعاً: العلاج الطبي:

العلاج الطبي يُعتبر واحدٌ من أخطر وسائل التنصير. يقول المبشر موريسون (نحن متفقون على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين من المستشفيات أن ندخلهم أعضاءاً عاملين في الكنيسة المسيحية الحية.

وتقول المبشرة إ برا هاريس وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تبشيرية (يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلم وقلبه فتكرز (تخطب) له بالإنجيل. إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق. ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجباك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه.

مؤتمرات التبشير تحرص دائماً في توصياتها وقراراتها على استخدام العلاج الطبي في التبشير وهم يرون لابد من الإكثار من الإرساليات الطبية ذلك لأن رجالها يحتكون بالجمهور وهم بالتالي أكثر أثراً على المسلمين. وعلى الطبيب ألا ينسى أنه مبشر في المقام الأول. ويخلف الطيب ورائه بيئة يمكن أن يستغلها كل من المبشر وبائع كتب التبشير.

يقول المبشر الطبيب بول هاريون (إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى. لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونسائها نصارى ولهم أساليب في تقديم الخدمات للمرضى لجذبهم للنصرانية حسب البيئة في المدن والقرى والأدغال لكل بيئة أسلوب خاص بها لقد حول المنصرون الطب وهو واحد من

---

(١) مشكلة جنوب السودان، مرجع سابق، ص٨٣.

أكرم المهن الإنسانية إلى وسيلة خداع وأداة رق لا تأسر البدن وإنما تسترق الروح فتفتن فقراء المسلمين في دينهم[١].

(١) انظر، أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مرجع سابق ١٧٩-١٨١.